الجلسة الثالثة:

مكافحة الفقر

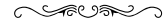

محاربة الفقر: المنطلقات والغايات
-حركة فتح الله كولن أنموذجًا-

أ.د. عمّار جيدل[1]

اقترح علينا الكتابة في موضوع "محاربة الفقر المنطلقات والغايات" بالرغم من أنّنا كنّا نميل إلى الكتابة في موضوع آخر، ينسجم مع الشخصية التي نحن بصدد دراستها، ولكن الضرورات التنظيمية، أملت على القائمين على المؤتمر أن أُنْدَبَ للكتابة في الموضوع المشار إليه أعلاه.

نعرض الورقة في مبحثين، نخصص الأول للخلفية الفكرية والتربوية لمحاربة الفقر كما وضعها الأستاذ، ونفرد المبحث الثاني للجوانب التطبيقية من فكرة محاربة الفقر كما جسّدها المتحققون (الذين امتلأت قلوبهم بها) بفكرة "الخدمة الإيمانية".

المبحث الأول

الخلفية الفكرية والتربوية لمحاربة الفقر.

يحسن في مستهل الورقة التأكيد على ما يأتي:

الحركة ليست تنظيما[2] بل فكرة:

---

[1] أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي -كلية العلوم الإسلامية- جامعة الجزائر.

[2] لعل الذي اقترح عنوان الموضوع "محاربة الفقر المنطلقات والغايات" متشبّع بفكرة التنظيم، لأنّها من المقاصد الحاضرة بشكل واضح في أدبيات التنظيمات فضلاً عن حضور في هياكل التنظيم، بينما ما نحن بصدد أمر آخر

obeikandi.com

حركة فتح الله كولن ليست تنظيمًا بالمعنى المشهور المتداول في الفضاء الحركي الإسلامي، ولكنّها في الواقع "فكرة"قوامها فلسفة واضحة بيّنة عمدتها تشجيع ثقافة "الخدمة الإيمانية"، وكلّ ما أسس (مدارس، جامعات، أسواق، مصانع، شركات، مستشفيات، مؤسسات إعلامية...) بناء عليها وفي مختلف الحقول (التعليم، التجارة، الصناعة، الإغاثة، الطب، الإعلام...). لا يربطه بباعث الفكرة في المجتمع التركي رابط تنظيمي عضوي، بل لتلك المؤسسات في إطار فكرة "الخدمة" مطلق الحرية في التحرّك في الفضاء الذي تتحرّك فيه، وفق ما يسهل لها عملية التكيّف التنظيمي والقانوني مع المعطيات القانونية التي تحكم المكان والزمان الذي تتحرّك فيهما مؤسسات الخدمة.

الخدمة الإيمانية وجه من وجوه التبليغ

التبليغ عن الله غاية وجودنا، ورأس التبليغ الخدمة الإيمانية، ذلك أنّ من مال عن تحديث نفسه بالخدمة الإيمانية فضلاً عن تضييعا بالفعل،ليس له حظ من التبليغ، لهذا على "المؤمن أن يوفي هذه الوظيفة حقها ضمانان لقبول مؤمنًا عن الله، وهي عنوان ثباته على مسلك الإيمان،"وذلك للعلاقة القريبة بينهما، فلا يثبت الأفراد وكذا الجماعات وجودهم ولا يمكن أن يديموه إلا بإيفاء هذه الوظيفة حقها"[1] وهي في الوقت نفسه وجه من وجوه الجهاد لأجل إعلاء كلمة الله، ولهذا فكلّ جهد يبذل لإصلاح المجتمع في أي ميدان كان من ميادين الحياة ولأي شريحة من شرائح المجتمع... كل ذلك هو من مضمون الجهاد الإسلامي،[2] وهو المراد بالخدمة الإيمانية.

الخدمة فكرة حركية

تقوم حركة فتح كولن على فكرة مركزية تعرف في أدبيات الحركة "الخدمة الإيمانية"، والخدمة الإيمانية فلسفة حركية مهمة ودستور للحياة، تجعل المؤمن في

تمام، لهذا اضطررنا إلى التكيّف مع رغبة الجهة التنظيمية والكتابة في المقترح وفق ما يقرّبنا من فهم ما جادت به قريحة وفكر الأستاذ فتح الله كولن.

[1] طرق الإرشاد في الفكر والحياة/فتح الله كولن، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٢ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢١.

[2] انظر: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، محمد فتح الله كولن، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر إسطنبول، تركيا، ط٢ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٢٩.

حركية دائبة، فهو في حركة عندما يعمل وفي حركة عندما يرتاح.[١]

الخدمة دعوة حركية شاملة تستغرق الإنسانية والأسرة والمجتمع والفرد في تكامل[٢] دائب، لهذا من مظاهر الخدمة أن نرى في العالم كلّه وقبل ذلك في قرانا وأريافنا وقصاباتنا عاملين على خدمة الخلق من منطلق إيماني، وإذا فرغنا مما بين أيدينا من خدمات تعلّقت هممنا باكتشاف نوع أو مجال آخر للخدمة، لهذا فكرة "الخدمة الإيمانية" حركية تتحرّك في شعاب الحياة، فهي فكرة للتحقق والتحقيق، وليست فكرة للتداول الأدبي أو الوعظي بقدر يطلب أن تكون في التفاصيل اليومية لحياة الناس.[٣]

الخدمة الإيمانية أساس الفعالية الواقعية

الخدمة الإيمانية أساس الفعالية والتحريك، لهذا كانت أوّل ما يُطْلَب تعلّق الإرادة به، تحقيقه في شعاب الحياة، وتزداد أهمية تحقيقها ضرورة إذا ما كانت الشروط والظروف غير كاملة أو غير ملائمة، ويكون القادرون على الأمر والقائمون به قلّة، عند ذلك تبلغ الصعوبة درجة الاستحالة،لأن تحريك شيء راكد، وتحويل أمر سلبي إلى أمر إيجابي يحتاج إلى بذل طاقة كبيرة.

لتقرير هذا الأمر يضرب الأستاذ المثال الآتي: "عند تحريك طائرة، يصبح التحريك الهدف الوحيد، وعند تشغيل السيارة تطفأ المصابيح والراديو والمسجل لتجنب أي ضياع للطاقة، ولكن بعد أن تطير الطائرة، وبعد أن تشتغل السيارة وتتحرك يعود كل شيء إلى وضعه العادي ويتحرك كل شيء بانسيابية، وهكذا الأمر بالنسبة للخدمة الإيمانية -على اختلاف مدارسها ومفاهيمها- فمع أن المرحلة الأولى تتطلب جهودًا شاقة، إلاّ أنّ الأمور ما إن تبدأ بالجريان في سياقها الطبيعي حتى تبدأ ما يمكن أن نطلق عليه اسم "الدائرة الإيمانية" -ضد "الدائرة المفرغة"- أي الدائرة الولودة هذا ما نشاهده الآن كل يوم في العديد من وجوه خدماتنا الإيمانية،... أجل إن هذه الخدمات الإيمانية

---

[١] انظر: أضواء قرآنية في سماء الوجدان/فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، تركيا ط١، ٢٠٠٣، ص ٣٨٥.

[٢] انظر المرجع السابق ، ص ٣٨٥

[٣] انظر: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ص ٢٩، ٣١، ٥٦، ٥٧، ٦٥،...

المقدمة اليوم، وأصحاب هذه الخدمات الذين نالوا شرف الدخول ضمن دائرة الرضا الإلهي من الأفراد والجماعات والأمم والدول سيأخذون طبعًا نصيبهم من هذا التيسير، بل نالوه فعلاً، ولو دققنا التاريخ من هذه الزاوية لرأينا ألف دليل ودليل على هذا، فمن عهد الراشدين إلى الدولة الأموية والدولة العباسية ثم الدولة السلجوقية والدولة العثمانية، إلى هذا العهد الذي تبدو فيه بشائر البعث من جديد يمكننا رؤية أمثلة عديدة على أصحاب هذه الخدمة".[١]

الخدمة أساس البذل بلا تعب

هيمنة فكرة الخدمة على العقول والقلوب تجعلنا نشعر بالتقصير تجاه الأمة والمجتمع، وتدفعنا إلى تثمين ما يتداول بيننا من أعمال الخير، وقد كان من نتائج هذا المسلك أن قام بعض الأغنياء الباحثين عن الرضا الإلهي بالتبرع للطلاب الأذكياء من الفقراء وإسكانهم في الأقسام الداخلية خدمة للأمة، والجهد المطلوب لا يتوقف عند هذا الحد وإلا سيشعر الباذلون بعد مدة أنّهم قد أدوا مهمتهم ويركنون إلى الدعة وإلى مشاغل الحياة الاعتيادية، والتعلّق بزيادة الخير وتنميته تجعل أبواب خدمات جديدة وواسعة تنفتح أمامهم وتدعوهم لتذوق أذواق أداء هذه الخدمات،[٢] ويجعل الفكرة قابلة للنمو الذاتي لما لها من طابع حركي، يجعلها لا تقبل السكون بأي حال من الأحوال، فتكون. القلوب المخلصة المتعلّقة بالخدمة الإيمانية في حيوية دائبة، تتساءل بقلق: "أيمكن أن تنتهي هذه الأنواع من الخدمات الإيمانية؟ ألا توجد هناك ساحات أخرى وساحات أوسع؟" فإذا بساحات خدمات أخرى وفي مناطق جغرافية أوسع تنفتح أمامهم، وإذا بهم يتذوقون لذة أداء هذه الخدمات في سبيل الله، ويتمتّعون بكؤوسها اللذيذة، بما فتح الله أمامهم من ساحات خدمات بأبعاد ومناشط أخرى أيضًا، والخلاصة أنّه ما من عهد ظهر فيه ظن قاتل بأن الخدمات قد فرغت وأنّ أبوابها قد أقفلت إلاّ وقيّض الله تعالى أشكالاً جديدة ومتجددة من الخدمة في سبيله وفي ساحات مختلفة.[٣]

[١] انظر أضواء قرآنية ٢٤٦-٢٤٧.
[٢] انظر مرجع نفسه، ٣٨٥-٣٨٧.
[٣] انظر أضواء قرآنية ٣٨٥-٣٨٧.

الخدمة الإيمانية رحلة حيوية مستمرة

الخدمة الإيمانية رحلة مستمرة تستغرق كلّ الحياة من المهد إلى اللحد، فليس من حق المؤمن القول: "لقد أديت ما عليّ ولم يبق أمامي عمل شيء آخر"... لا يجوز له أن يقول هذا وينسحب من الميدان للراحة والدعة، وظيفة المؤمن بعد قيامه بإتمام عمل خيري المباشرة بعمل خيري آخر، عليه أن يرتاح بالعمل، وأن تكون راحته مقدمة لعمل آخر، وأن يعيش اليسر في العسر وأن يقيم اليسر في العسر على ضوء المشاعر الغيبية والروحية، وأن يتصرف على ضوء أنّ العالم المادي يكمل العالم اللامادي، وأن العالم اللامادي يكمل العالم المادي، فيعيش كإنسان لم يدع هناك أي فجوة في حياته.[١]

الخدمة مسلك التلطّف وكسب القلوب

الخدمة الإيمانية مسلك امتلاك قلوب الخلق، ذلك أنّ من أهم الطرق المؤدية إلى كسب قلوب الآخرين هو البحث على الدوام عن أي فرصة لتقديم الخير والخدمة إليهم دون إضاعة أي وقت، لهذا فنحن بحاجة إلى تدريب قلوبنا على عمل الخير على الدوام.[٢] وتأييد وتشجيع كل خدمة في سبيل الحق والصدق والاستقامة إشارة إلى احترام وتوقير الحق، ومن اختار هذا المسلك، فليعلم أنّه واحد من جنود الأمة وليس كلّ الأمة، لهذا نحن بحاجة إلى التكامل والتعاون والتضامن، ومن مال عن هذا الرأي سينتهي به الأمر إلى تغيير موقفه ولن يستقر على شيء أبدًا.[٣]

الخدمة طريق عمومي ليس ملكا لأحد

ما دامت الخدمة ملكا عموميا يسلكه كلّ من امتلك الأهلية الرسالية والمعرفية، فليس لأحد أن يدعي أنّه بوابه أو مالكه، لهذا ينتظر من الأمة أن تسلك مسلك الخدمة من خلال إقبال أفراد الأمة على بذل الخدمة لأجل نهضتها، أو على الأقل تأييد كل راغب أو باذل لأجل خدمتها والرقي بها إلى مصاف الدول والأمم الراقية، تيسيرا

---

[١] انظر المرجع نفسه، ٣٨٥-٣٨٧.

[٢] انظر الموازين أو أضواء على الطريق/فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر إسطنبول، تركيا، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٤٥.

[٣] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ١٣٢.

لخدمة الإنسانية في تنوّعها، لهذا انتهى الأستاذ إلى وصف الطريق الذي يسلكه بأنّه مسلك تأييد خدمة الأمة، قال الأستاذ: "هو طريق تأييد كل من يقدم خدمة للأمة ويسعى لخيرها ومساندته ومساعدته، لن نرد على من يكفرنا أو يضللنا ولن نشترك في لعن أو الدعاء على هؤلاء".[١] لأننا في مسلك قوامه العمل وليس فيه من وقت للجدل، ومن وُفِّق إلى فتح أبواب العمل وُفِّق إلى غلق مثلها عددًا من أبواب الجدل والكسل.

في إطار النظرة القائمة على "الخدمة الإيمانية" الفكرة المركزية في الحركة، يمكن أن نيسّر استيعاب فكرة الحديث عن الفقر بمعنييه (المعنوي والمادي) ذلك أنّها تمثّل تحقيق نقلة نوعية في محاربة النمطين من الفقر، إذ يقوم على فلسفة الخدمة الإيمانية، وتعدّ (الخدمة) لآلية الفعالة في دفع النمطين في شعاب الحياة.

بيان ماهية الفقر في تصوّر الحركة

أجمعت الأمم على أنّ من عَدِم المال والمتاع والنقود أو امتلك ما لا يكفي منها عُدَّ فقيرا بلا أدنى شك، وهذا ليس معيبًا في حد ذاته، لأنّ الفقر لا يعيب الشرف أبدًا، ذلك أن العفة والنبل شيئان مختلفان، فقد تكون الثروة أساسًا لنبل وليس الشرف كذلك، فالفقر لا يعيب الشرف أبدًا.[٢]

ولم يشذ عن هذا الرأي الأستاذ فتح الله كولن، ورغم موافقته الرأي المشار إليه، إلاّ أنّه يرى أن الفقر الأخطر يكمن في عدم امتلاك العلم والفكر أو المهارة، لذا فالأغنياء الذين لا يملكون علمًا ولا فكرًا ولا مهارة هم فقراء في الحقيقة،[٣] وبيّن في هذا السياق أنّه يعرض نمطين من الفقر، أولهما معنوي والآخر مادي، من هنا اتخذت محاربة الفقر عند الأستاذ مسلكين أساسين:

المسلك الأول: محاربة الفقر المعنوي، والمسلك الثاني: محاربة الفقر المادي، ويشتركان في اعتمادهما الكلي على أساس واحد، فلا يشيعان (الفقر المعنوي الفقر المادي) أو يعيشان إلا حيث يستقر الجهل وتغيب الخدمة الإيمانية، لهذا كان من

[١] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ١٤٣.
[٢] انظر المرجع نفسه ٢٢٩.
[٣] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ٢١٤.

أولويات الخدمة الإيمانية محاربة الفقر الأول الذي يعد أساس محاربة الفقر الثاني.

يؤكد هذا المعنى قوله إنّه "لو جرت مسابقات في الفقر مثلما تجري المسابقات الأخرى، لأصبح الجهل هو الفائز الأول فيها"،[١] ويقصد بهذا الصدد الفقر بنوعيه، ذلك أنّ الجهل أساس كلّ فقر، ولهذا فالجهل جو مثالي لتكاثر نمطي الفقر، كما أنّ الفقر نفسه (بمعنييه) من الروافد الأساسية للجهل، لهذا، عندما يهيمن الجهل يولد الفقر، ألا ترى أن الجهل يحول السهول الخضراء والبساتين اليانعة إلى سهول وأراض جرداء وإلى مزابل، وهذا يعد تدنيا وتراجعًا للوراء وإفقارًا حقيقيًا للمجتمعات، بخلاف تحويل الأراضي الجرداء والمزابل إلى سهول خضراء وإلى بساتين غناء فهو تقدم ورقي... ممالك الأمم المتقدمة جنات، وجبالها غابات خضراء، ومعابدها كالقصور، بينما مدن الأمم المتأخرة خرائب وشوارعها مزابل ونفايات، ومعابدها تفوح منها روائح العفونة و الوساخة.[٢]

وحيث وُجِدَ الجهل وُجِدَ رفيقه الفقر وسادت الحيلة في العلاقات وطبعت الحياة العامة بالسرقة والكذب والافتراء، وهو وسط أمثل لانتشار الخراب، وأهالي هذه البلدان فقراء وجنودها ميّالون للانقلابات العسكرية[٣] والتَفَلُّت من الانضباط الحقيقي الذي هو أساس الحياة في انتظامها واستمرارها، كما أنّ الدول والمجتمعات التي تفتقد للمشورة دول ومجتمعات فقيرة، قال الأستاذ: "ليست هناك دولة غنية كالمشورة ولا جيش قوي مثلها".[٤]

أسباب العناية بمحاربة الفقر في برنامج الحركة

المسلك الأول القائم على محاربة الفقر المعنوي

تمثّل محاربة الفقر المعنوي عُمَدَ الخدمة الإيمانية، ذلك أنّ الفقر المعنوي رأس البلية ومفتاح جميع الشرور، لهذا نستهل به الحديث عن الفقر، وسنعرضها، وفق ما لاحت لنا من أدبيات الأستاذ.

---

[١] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ٢٥٥.
[٢] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ٢١٧.
[٣] انظر الموازين أو أضواء على الطريق ٢٣١.
[٤] انظر الموازين ٢٤٣.

محاربة الفقر المعنوي

رأسمال الخدمة الإيمانية محاربة الفقر المعنوي، وقوة دفعه الإيمان الباعث على فكرة الخدمة، وآلياته "الضمير ومفاهيم الأخلاق والتربية والخلق الدمث والكياسة والرقة، وهي رأسمال كبير في كل دولة، وهو رأسمال لا يتأثر بصعود أو هبوط الأسهم في الأسواق المالية، والذين يملكونه يشبهون التجار من ذوي السمعة الجيّدة والمكانة المرموقة الذين يستطيعون التعامل مع الجميع حتى وإن لم يملكوا رأسمال آخر"،[١] إذا توفّر هذا الرصيد شاعت نية الخدمة الإيمانية التي بها يتميّز الإنسان عن المتوحشين البدائيين أولئك الذين يخضعون للرغبات الجامحة، ولهذا لا يرى الأستاذ فارقًا كبيرًا بين من لا يهدف إلى خدمة الإنسان وبين حياة المتوحشين البدائيين المملوءة بكلّ الرغبات الجامحة.[٢]

الافتقار إلى الله أساس الخدمة

الخدمة مظهر إظهار الافتقار إلى الله، والافتقار أساس الخدمة الإيمانية: لأنّها تعتمد في تفعيل دورها على إشاعة مبدأ الافتقار إلى الله الرزّاق ذو القوة المتين، فإليه الفضل كلّه، وعليه المعتمد في النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، ذلك أنّ فَقْدَ التحقق بـ"الافتقار إلى الله" يدخل المتصف بها في مصاف الفرعونية، فيكون فَقْدَ الافتقار مدخلا للاستغناء المؤسس للفقر المعنوي، و كان مسعى تحقيق هذين المقصدين جهدًا مميزًا في العمل العلمي والتوجيهي الذي أنجزه الأستاذ، إذ نلاحظ أنّه يتوخى بناء مملكة الروح وإن شئت "صرح الروح" كما ذكر الأستاذ نفسه في كثير من مؤلفاته.[٣]

و يذكر الأستاذ[٤] تقريرًا لهذه الحقائق أنّ فقر الإنسان واحتياجه ليس سببًا لذلّه، بل

---

[١] انظر الموازين ١٤٣.

[٢] انظر الموازين ١٣٢.

[٣] انظر كتابه: ونحن نقيم صرح الروح، ترجمة: عوني عمر لطفي أغلو، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤، وانظر أيضًا "التلال الزمرّدية نحو حياة القلب والروح"، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥، وانظر أيضًا: ترانيم روح أو أشجان قلب، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤، كما تجد كثيرًا من تلك المعاني في سائر كتبه.

[٤] انظر التلال الزّمرّديّة نحو حياة القلب والرّوح، ص ٢٨٣-٢٨٤.

هو وسيلة لعزّته بمقدار استشعاره بفقره، لأنّ الفقر والحاجة إلى الله وهو الغني المطلق، هو الغنى بعينه. نعم، إنّ الإنسان يتّجه إليه تعالى بشعوره بنقطتي الاستناد والاستمداد في وجدانه والإحساس بهما، فيبلغ بنسبة استشعاره هذا إلى أنْ يدرك "بأنّه ليس محتاجًا إلى الغير"، فمثل هذا الشخص بينما هو فقير كليًا لا يشعر بحاجة لأي أحد ولا لأي شيء، وفقير كهذا أيضًا يدرك أن وجود كل شيء ووجوده أيضًا، من الله سبحانه، ويعدّ كلّ ما يملكه هو، وهو نفسه ليس إلاّ ظلال ضياء وجوده سبحانه، لهذا كان هذا النوع من الفقر بابا للغنى.

قد يفهم من الكلام السابق الميل عن الدنيا واختيار الفقر بالمعنى البشري المتداول، بينما الغرض من تأكيد "الافتقار إلى الله" إخراج الدنيا والمال من قلوبنا مع العمل على امتلاكها بين أيدينا لأن التبليغ الناجح في الغالب يقوم على وسيلة المال التي تعد من أبرز أدلة الاستغناء عن الناس،لهذا يقول الأستاذ فتح الله مع الأستاذ بديع الزمان النورسي "نترك الدنيا قلبيًا لا كسبيًا".[1]

التحقق بالهمّة العالية

تكون الرفعة والقيمة بين الناس بالعلم والعرفان، ويستطيع شخص وضيع وخسيس أن يكون غنيًا، ولكن لا يستطيع امتلاك الرفعة والشرف، والمعالي.[2] فنحن بحاجة إلى أصحاب الهمم العالية الذي يفتقرون إلى الله، وبهذا الافتقار يستغنون عن الخلق للحق ﷻ، وهي طريق معبّدة لمن أراد نيلها من الفقراء إن تهيّأ لها بشروط موضوعية، و ننزل الناس منازلهم وفق قاعدة البذل في "الخدمة" لا وفق ما يملكون من مال أو سلطان، ثمَّ ينبّه الأستاذ إلى أنّ كثيرًا ما يكون الجاهل سعيدًا ومرفهًا، وأرباب الحكمة في فقر وشقاء... وهذا بيَّنَ لنا أن النعم لا تنزل في الدنيا بقدر القيمة الذاتية للأشخاص.[3]

ومن مقتضيات الهمّة العالية أن نهيمن على الدنيا عوض أن تهيمن علينا، وهذا

[1] انظر الكلمات ٢٩٨/١.
[2] انظر الموازين ٢٢٧.
[3] انظر الموازين ٢٥٧.

يجعلنا نقترب أكثر لنرى عدم وجود أي خصام لنا مع الدنيا، ولا يمكن أن يكون،أجل إنْ عمل الإنسان وفق هذا الإطار استطاع أن يربح ويكسب مثل أهل الدنيا وإنْ كان غنيا مثل قارون... ولكن عندما تقتضي الضرورة عليه أن ينفق كلّ ما اكتسبه في سبيل الله. لا يتأخّر على الإطلاق.[١]

يجب ألا تدخل الدنيا إلى قلوبنا وألاّ تسكرنا، أو تعكّر نظرنا، أو تنسينا الآخرة، فإن حققنا هذا ملكناها وحكمناها، وإلا حكمتنا الدنيا وعشنا حياة خالية من الشعور والإحساس، كل دقيقة فيها هباء في هباء يجب امتلاك الدنيا باسم الحق وخدمة الأمة وأن تكون الحياة حول محور الآخرة على الدوام، ومثل هذه الحياة الدائرة حول محور الآخرة تُبقي الفرد ضمن الكسب الحلال على الدوام وضمن اللذة المباحة، ومن المعلوم أنّ الكسب غير المشروع، واللذة غير المشروعة تجلب معها على الدوام آلافا من الآلام في الوقت نفسه.[٢]

قيادة قدوة في التضحية

نجاح الفكرة من نجاح من هو في مقام القدوة، وخاصة عندما يتحلي بها ويَتَمَثَّلُها في شعاب الحياة، ولعلّ من أهم عناصر نجاح المُقَدَّمين أو المُتَقَدِّمين في صفوف التوجيه والإرشاد، وإن شئت كلّ سالك مسلك الخدمة الإيمانية في جانبها الفكري والدعوي، الابتعاد عن كلّ ما شأنه أن يكون سببًا في القبض عليهم من قبل الشيطان أو الأعداء أو الأصدقاء أو من قبل المجتمع، ورأس ما يطلب إليه تركه التعلّق بالدنيا ومفاتنها للدنيا وليس للآخرة، قال الأستاذ:[٣] "رجل الفكر والدعوة إن كان لا يرغب في التعرض للقبض عليه من قبل الأعداء أو من قبل الأصدقاء أو من قبل مجتمعه فيجب عليه الابتعاد عن حب الربح والكسب فقط، بل عن أي ضعف دنيوي في هذا المجال، فكم شهد الماضي من رجال ومن سلاطين كبار أصبحوا أسرى للمال الغدار، وكم من مرة أُستغل هذا الضعف الموجود في فطرة الإنسان فَمُحِيَت مجتمعات

[١] انظر أضواء قرآنية ٣٠٠-٣٠١؛ النورسي، الكلمات ٢٩٨/١.
[٢] انظر أضواء قرآنية ٣٠٢-٣٠٣.
[٣] أضواء قرآنية ٢٢٧.

وذلت أمم"، ولا يعني هذا الميل عن كسب المال كما يتبادر إلى الأذهان، كما أنّه ليس اختيارًا عامًا يشمل جميع الناس بمختلف طبقاتهم، بل يعد خيار الميل عن الاشتغال بالمال وتفاصيله خاصًا بمن هو مقام التوجيه والإرشاد العالي، وليس خيارًا عامًا يُمْلَى على كلّ الناس أو على كلّ المنخرطين في مسلك الخدمة، ذلك أنّه مع ما للمال من أثر وخيم على تدمير المكاسب حين الغفلة عن منطق الخدمة، فإن انتشار الدين في العالم معتمد الآن على النقود، أي على رأس المال أيضًا وعلى قوة تمويل المشاريع الدعوية،... يجب أن يكسب المسلم المال ويكون غنيًا، لكن على شرط ألا يستولي حب المال على قلبه، بل يضع ذلك المال في مكان (حرز) بتعبير الفقهاء بعيد عن يد اللصوص ثم يصرفه في وجوه منافع الأمة،فلولا هذا التمويل هل كان يمكن تحقيق المشاريع الكبيرة؟... إذن القوة المادية لها دور كبير في نشر الدين الإسلامي المبين،لذا فمن هذه الزاوية فكل جهد يبذل في سبيل الحصول على المال يعد عبادة... يعد عبادة إن تم كسب المال وصرف هذا المال الذي جمع بكل مشقة مادية أو فكرية، في سبيل الدعوة السامية وليس في سبيل الأهواء والشهوات.[1]

نشر العلم و محاربة الجهل

الجهل بالروابط الإيمانية النورانية أساس الفقر المعنوي، كما أنّ الفقر المادي أساسه الجهل بالحياة ومقتضياتها، لهذا فالجهل المُرَكَّز على بيانه في هذا السياق ليس في قلة المقروءات فمهما "كثرت قراءة الإنسان ومطالعاته ومعلوماته، فهو فقير من الناحية المعرفية وبحاجة إلى تكمّل، لهذا يجب أن لا يكون تحصيل بعض المعارف باعثًا أو سببًا في التوقف عن المطالعة والقراءة والتعلم، فالعلماء الحقيقيون ظهروا من بين أناس معلوماتهم قليلة وغير كافية مع كونهم في بحث دائم ومتواصل... ليس من الصحيح أن يعد كل جاهل محرومًا من المعرفة، فالجاهل الحقيقي -وهو فقير بلا أدنى ريب- هو الشخص المحروم من الإحساس بالأمر الصحيح، فمثل هذا الشخص جاهل و إن ملك ركاما من المعلومات،[2] محاربة هذا الجهل هو المدخل

[1] أضواء ٢٢٧.

[2] انظر الموازين ٢٢٧.

الرئيس لمحاربة الفقر بمعنييه المشار إليهما فيما سبق.

تقوم محاربة الجهل على إشاعة العلم والتربية معًا، لأنّ انتشار القراءة والكتابة، مع دورها الكبير في رقي المجتمعات، إلاّ أنّه إن لم يتم تربية الأجيال بثقافتها الدينية الإسلامية (الملية) وحسب اتجاه معلوم فمن الصعب نيل النتائج المرجوة... كلّ محاولة وحملة للتقدم تمر من التقييم الجيّد للوضع الحالي مع الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة وإعطاء أهمية لتلك التجارب، وإلاّ فإنّ الأجيال القادمة إن اتبع كلّ واحد منها طريقًا دون الالتفات إلى تجارب السابقين، فإن هذا التصرف يكون تصرفًا صبيانيًا، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمة ويمنع تقدمها ويعرقلها.[١]

التأسيس لمعيار الرقي

تربية المجتمع وفق قاعدة "الخدمة الإيمانية" بحاجة إلى إعادة النظر في معيار الرقي، فليس الرقي عمرانًا أو علمًا متداولاً فقط، بل يرتبط رقي أمة وتقدمها بمستوى التربية التي يلقاها أفرادها من الناحية العاطفية والفكرية، فلا ينتظر تقدم أمة لم تتوسع الآفاق الفكرية والجوانية لأفرادها.

من شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية، فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعًا وطوائف متناحرة، ومن ثمَّ فإنّ. الأجيال التي لم تتلق تربية موحدة، ونشأت وغُذِّيَت بثقافات مختلفة لا بد أن تنقسم إلى معسكرات مختلفة ومتعادية، لذا فتوقع تقدم أمة هذه حالها إن لم يكن مستحيلاً تمامًا فهو صعب صعوبة كبيرة.

يبدأ كل تقدّم بفكرة معينة وتَصَوُّر معيّن، ثم يتم قبول هذه الفكرة من قبل الجماهير، ثم تتحقق بجهود الأفراد المتكاتفين معًا في هذا السبيل، ولكن إن لم يكن للعلم نصيب في تخطيط هذه الفكرة، أو لم يسمح للعلم بذلك فكل جهد وكل تعبئة عامة لإنجاحها محكوم عليها بالفشل.[٢]

---

[١] الموازين ١١٧.

[٢] انظر الموازين ١١٦.

محاربة التصرفات السيّئة

المجتمع الفقير (بمعنييه الفقر إلى المبادئ والفقر إلى المال) يمتاز فيه الفرد بالثرثرة وقلّة العمل، وتربية الناس على هذا النمط من العقليات أو السكوت عليه، سيفتح أمام هذا النمط من الناس باب الجدل ويشرّع باب الكسل، ويوصد بل يغلّق أمامهم باب العمل، فيمتاز إنسان هذه التربية باللسان الطويل واليد القصيرة، وهما وإن كانتا ملائمتين للثعبان، إلاّ أنهما إن وجدتا في الإنسان انقلب ذلك الإنسان إلى ثعبان،[1] نحن بحاجة إلى محاربة هذه التصرّفات بالتحرك الدائم في كلّ الظروف، نتدخّل لمنع ما يحدث حولنا، والمشاركة في محاربة الاستسلام والذوبان، وهي الأسس التي يقوم عليها الفكر الحركي.[2]

المسلك الثاني: محاربة الفقر المادي

محاربة الفقر المعنوي أساس النجاح في محاربة الفقر المادي، لهذا إذا نجحت معركة محاربة الفقر الأول أمكن أن ننتظر النجاح في محاربة النوع الثاني، لهذا كان المتحقّق بالمعاني السابقة أساس تأسيس وفعالية مؤسسات الخدمة في مجمل شعاب الحياة، ذلك أنّ افتقاد الإطار المخطط أو المُسيِّر أو العامل المتشبّع بتلك القيم والمعاني السامية سيحرمنا من انتظار نجاح في فضاء محاربة الفقر المادي، ذلك أنّ الفقير من الناحية المعنوية يحكمه الجشع والطمع والتعلّق بالدنيا، وهي الأسس التي يستند إليها في إفقار الشعوب لأجل حفنة من الناس، وطلبًا لمرضاة الله في مجمل الفضاءات تقدّم مؤسسات الخدمة حلولاً لبعض مشكلات الفقر من نحو قلّة ذات اليد والحاجة والبطالة... وتصل في بعض الأحيان إلى إغاثة أصحاب الحاجة في المناسبات الدينية ووقت الأزمات.

تقوم فكرة محاربة الفقر المادي على تشجيع إنشاء المؤسسات في مجمل حقول الفعل الإنساني (الصناعة، التجارة، التعليم، الطب...) مع والاجتهاد في القوت نفسه لأجل

---

[1] انظر الموازين ٢٤٨.

[2] انظر: ونحن نقيم صرح الروح/فتح الله كولن، ترجمة: عوني عمر لطفي أغلو، دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول تركيا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٥-٧١.

openkandil.com

الحفاظ على مكاسب الخدمة المعنوية والمادية، سنعرض بهذا الصدد لفكرة المؤسسات والتجارة بوصفها المداخل الرئيسة لتحقيق الخدمة الإيمانية في شعاب الحياة.

أولاً: تأسيس المؤسسات:

وتفعيلاً لدور من اختار الخدمة الإيمانية لدفع الفقر المادي مرضاة لله تعالى يدعو الأستاذ إلى تأسيس مؤسسات مدنية مختلفة غايتها تحصيل الرضا الإلهي، ومع التفكير في إنشاء هذه المؤسسات لا بد من التفكير في صيانتها، لأنّ الحفاظ على المكاسب أصعب وأشقّ من إنشائها، من هنا يؤكّد الأستاذ أنّ الحفاظ على المكاسب المتعلّقة بالخدمة يفرض أن تكون مؤسسة على الشورى، لما لها من أثر اجتماعي محمود على سير العمل وفعاليته فضلاً عن استجلاب أبعاد الاجتماعية المنتظرة من "الخدمة الإيمانية"، ذلك أنّ أمثال هذه المسائل التي تتعلق بقوانين المجتمع وحقوقه فالحكمة تضطرنا إلى حكمة الشورى التي أوصانا بها الرسول ﷺ.[1]

ثانيًا: تشجيع التجارة

التجارة هي دق باب الرزاق الذي بيده كلّ شيء بلسان المال والأمتعة، والتوجه إلى بابه طلبا للرزق، لأنّه إليه وحده يعود إسعاف الطلب.

تعد التجارة من النشاطات الإنسانية التي لا تتأثّر بتطوّر البشر ماديًا، بل يزيدها التقدم العلمي والتطور التكنولوجي أهمية تفوق ما كانت عليه في سابق الأيام، وسيبقى دورها متميّزًا، وستكون الحكومات والإداريون تحت وصاية التجارة، فلا تستطيع هذه الحكومات إدامة حياتها إلاّ بتأييد من قبل أرباب التجارة، ذلك أنّها من المصادر الرئيسة لميزانية الدولة.

مما يجعل التخصص في ميدان التجارة والحِرَف و المهن من أهم أبواب الرزق، وقوام هذين الميدانين على التعلّم والخبرة، فالخبرة والتجربة تخرج المعارف من الكتب إلى الواقع المعيش.

والتجارة التي يعمل على بعثها والتشجيع عليها، تقوم بدورها في فعاليتها التجارية

[1] انظر أضواء قرآنية ١٤١.

والاجتماعية على فكرة "الخدمة الإيمانية"، لهذا يسعى إلى تربية التجار بأخلاق تطوّر تجارتهم مع الله أولاً ثم مع البشر ثانيًا، ذلك أنّ علاقة التاجر بالله إن كانت على وفق طلب الشارع الحكيم، جلبت أثرها المادي ضرورة، فلا تفوته المنافع الدنيوية، بل يحققها مع تمام الرضا، وفق معايير أهل الدنيا، بل تفوق مكاسب أهل الدنيا بمراحل.

طلب رضا الله في التجارة:

التجارة مرضاة لله عبادة، والوقت الذي يقضيه التاجر الذي يراعي الحلال والحرام في تجارته عبادة، ومن فقد هذه المعاني في تجارته بعصيان ربه فيها، فإنّه سيتحوّل إلى تاجر ورجل أعمال محتال، وهي أقصر طريق لافتضاح أمره بين الخلق، فيفتقد الاحترام وتبدأ الأرباح بالتناقص وينتهي به الأمر إلى الخسارة.

النظافة والانتظام أساس نجاح التجارة:

يجب ألا يغيب عن البال أن نظافة أماكن التجارة ونظافة مكاتبها وانتظامها، أو وَسَاخَتها وعدم انتظامها يعكس في الأكثر نفسية ذلك التاجر أو رجل الأعمال وحالته، وهذا يؤثر تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا على الزبائن.

أخلاق التجارة:

الاستقامة والأمانة روح العصر الحالي والتصرف بكل لباقة وأدب مع الزبائن هو روح التجارة، والتاجر الذي المُقَصِّر في أي أمر من هذه الأمور يكون قد خاصم روح التجارة وأضرّ به وسدّ أبواب ربحه.

خلق التواصل عند التاجر:

على التاجر والحرفي أن يكون عذب اللسان طلق الوجه ومتواضعًا، صادقًا في كلامه، لا يسأم ولا يضجر، ومع أنّ هذه الصفة ضرورية لأرباب كلّ وظيفة ومهنة، إلاّ أنّها تكون أكثر ضرورة للتاجر وللحرفي لكونهما على اتصال دائم مع مختلف طبقات الناس وعلى علاقة قريبة بمنافعهم أو أضرارهم.

توقيت العمل:

تَعَلُّم استثمار الوقت في عالم التجارة، لهذا يدعو الأستاذ إلى مضاعفة أوقات العمل وفق حاجة المتعامل، وبمنطق حسابي يرى الأستاذ أنّ الذين يفتحون أماكن عملهم قبل ساعة من المعتاد، ويغلقونها بعد ساعة من المعتاد يجعلون أيام أشهرهم ٣٥ يومًا وأيام سنتهم ٤٢٠ يومًا، بشرط قيامهم بأداء عملهم على الوجه المطلوب في ساعات العمل.[1]

المبحث الثاني

الجوانب التطبيقية من فكرة محاربة الفقر

كما جسّدها المتحققون بفكرة "الخدمة الإيمانية".

مؤسسات الخدمة في الواقع العملي:

تغطي مؤسسات الخدمة مجمل المجالات الحياتية، ففيها مؤسسات ذات الطابع التعليمي والبحثي، ومؤسسات ذات طابع صناعي وتجاري، وأخرى ذات طابع طبي، ورابعة ذات طابع إعلامي، فضلاً عن مؤسسات الخدمة ذات الطابع الإغاثي، ولكلّ مجموعة منها أثرها المشهود في محاربة الفقر، والغالب أنّه يأخذ طابع الإغاثة.

أولاً: مؤسسات الخدمة ذات الطابع التعليمي و البحثي وتوابعهما:

تتوزّع جهود الخدمة في هذا المجال على المؤسسات التعليمية بمختلف مراحل التعليم ومبيتات الطلبة، وقد شملت تلك المؤسسات التعليمية مدارس ابتدائية وتكميلية وثانوية وجامعية، فضلاً عن قاعات القراءة (المطالعة).

١- مؤسسات التعليم العام في تركيا:

تشمل المدارس التعليمية كل مرافق التعليم من مرحلة الحضانة إلى الروضة إلى الابتدائي والإعدادي (المتوسط أو التكميلي) إلى التعليم الثانوي، وبالنسبة للمرحلة الثانوية تتضمن كلّ التخصصات التعليمية الموجودة في النظام التعليمي العام.

تؤسس هذه المؤسسات التعليمية وتديرها شركات خاصة ذات أسهم، تعمل في إطار

[1] انظر الموازين ١٠٩-١١٠.

obeikandl.com

القوانين التي تضبط القطاع الخاص وتتبع وزارة التربية والتعليم التركية، وهي مؤسسات وإن كان بينها اتصال في فكرة الخدمة إلاّ أنّها مستقلة عضويًا عن بعضها، فلكل مؤسسة تعليمية شركتها الخاصة وإدارتها المستقلة، وهذا لا يمنع من استفادة تلك المؤسسات من بعضها في الخبرة المهنية و العلمية والبيداغوجية والإدارية و...إلخ.

تميّز هذه المدارس بالجودة العلمية والنوعية التعليمية، التي بلغت بها رتبة متقدّمة خوّلت لها تمثيل البلد في المحافل الدولية المتعلّقة بالمسابقات العلمية العالية، ويقرب عدد تلك المدارس من خمسمائة مؤسسة تعليمية في تركيا.

٢ - مدارس التأهيل للدخول للثانوية والجامعة[1]

يقوم نظام المدارس التأهيلية على فكرة التعلّم لأجل المشاركة في المسابقة الوطنية التي تسمح للناجح في التسجيل في مراحل التعليم الثانوي والجامعي، وهو نظام خاص بتركيا، وتابع لوزارة التربية والتعليم، يتقدّم بموجبه المترشحون للتسجيل في الجامعة إلى الامتحان الوطني العام بناء على التحصيل المكتسب في التعليم التأهيلي، وقد نجح أبناء الخدمة في فتح مدارس تأهيلية كثيرة، قدّمت خدمة تعليمية نوعية وأصبحت علامة النجاح في كافة تركيا، كما يوجد بها تعليم تأهيلي خاص بتلاميذ نهاية الإعدادي خاص بمن يريد مواصلة الدراسة في التعليم الثانوي، وتؤسس هذه المؤسسات كسابقاتها شركات خاصة يحكمها قانون القطاع الخاص وهي مؤسسات مستقلة عن بعضها تأسيسًا وتسييرًا، ويقرب عددها من ٦٠٠ مدرسة.

٣ - التعليم الجامعي:

أسس بعض المتحققين بفكرة الخدمة مؤسسات التعليم العالي والتي على رأسها جامعة الفاتح، وقد لحقت بها أخواتها الأربع هذا العام، ويسعى المتشبّعون بخدمة الأمة في مجال التعليم تأسيس خمسين جامعة في آفاق العشرية القادمة، إن شاء الله، وهي مؤسسات ذات طابع تجاري لأغراض تعليمية بقصد الخدمة.

[1] ظهرت هذه المدارس بسبب الاختبار الوطني الذي ترتبه الدولة ويتأهل بموجبه خريج الثانوية لدخول الجامعة حيث إن نسبة النجاح في المسابقة الوطنية ضئيل؛ فإن وجود هذا النوع من المدارس بجانب المدرسة العادية ضروري، يتردد الطالب على هذه المدارس أثناء الأسبوع أو في نهايته.

٤ – مبيت الطلبة:

لا تخلو مدينة من مبيتات الطلبة، وتختلف طاقات استيعابها فيصل بعضها إلى استيعاب ٢٥٠ طالبًا، وقد يسع المبيت أقل من هذا العدد، وتستوعب هذه المؤسسات تلاميذ مراحل التعليم الثانوي وطلبة الجامعات، من أهل المناطق النائية أو أبناء المدن الذي تضيق مساكنهم عن تحقيق تعليم نوعي، والغالب أن تكون المبيتات فاخرة، يقيم فيها الطلبة مجانًا أو بتكاليف رمزية. وعددها في المجتمع التركي كبير جدا يفوق الحصر.

٥ – قاعات المطالعة و البحوث والقراءة:

تنتشر قاعات المطالعة والقراءة في كثير من المدن التركية وهي موجودة في المناطق الفقير والغنية على السواء، تفتح في الأحياء الشعبية ويتردد عليها الطلبة من مختلف مراحل التعليم، فضلاً عن الذين لا يملكون القدرة المالية للذهاب إلى المدارسة التأهيلية أو المدارس الخاصة، و بهذه القاعات مدرسون متطوعون يساعدون الطلبة في دروسهم مجانًا، ويدربونهم على تجاوز الاختبارات الوطنية. وعددها كبير في المجتمع التركي.

ويقرب من هذا وجود مراكز متعددة الخدمات في المدن الكبيرة كإسطنبول، الذي يوجد بها "الأكاديمية" وهي مركز متعدد الخدمات يغلب عليه الخدمة البحثية والتربوية، فضلاً عن الدرس التوجيهي الأسبوعي القائم على التربية المستدامة بالوعظ والإرشاد والمطالعة الهادفة للكتب، وهي فرصة سانحة للتكوين الفكري والحركي والتدرّب على التبليغ.

٦ – مؤسسات الخدمة التعليمية في الخارج:

عدد المدارس القائمة على فكرة الخدمة الإيمانية كثير، ومنتشر في أكثر من ١٤٠ دولة، وعدد مدارسها لا يقل عن ١٥٠٠ مؤسسة في مختلف مراحل التعليم فضلاً عن مراكز تعليم اللغات والإعلام الآلي.

وقد نجح المتشبّعون بفكرة الخدمة في تأسيس ١٥ جامعة في مختلف أنحاء العالم و يطمح المتحققون بالخدمة إلى فتح جامعات جديدة في أذربيجان وجورجيا وكازاخستان والبوسنة وألبانيا ونيجيريا...

دور مؤسسات الخدمة الإيمانية في التعليم بمحاربة الفقر في الفضاءات الآتية:

– مساعدة الفقراء على الانتساب إلى هذه المؤسسات بتكلفة رمزية أو تكلفة يغطي نفقاتها بعض المتحققين بفكرة "الخدمة" من التجار أو الصناعيين، كما يمكن أن تتولى الشركة المُؤَسِسَة للمُؤَسَسَة التعليمية بتغطية النفقات.

– تتولى هذه المؤسسات مجمل النفقات المتعلّقة بالتمدرس والتعليم، وما يترتّب عليها، وهذا له صلة بقاعات المطالعة والمبيت، التي يتولى نفقاتها الأغنياء والتجار لصالح أصحاب الحاجة من الفقراء.

ثانيًا: مؤسسات الخدمة ذات الطابع الصناعي والتجاري:

مؤسسات الخدمة ذات الطابع التجاري والصناعي كثيرة عددًا في الخارج والداخل، وتعد من الروافد الرئيسة لسائر المؤسسات الأخرى،ذلك أنّ المؤسسات التعليمية وبمجمل مراحلها تقوم بشكل أو بآخر على فعالية المساعدات التي تقدّمها المؤسسات التجارية والصناعية، فبعض التجار والصناعيين يتكفّلون ببعض المتمدرسين في مختلف مراحل التعليم، وهي الفلسفة التي تقوم عليها فكرة الخدمة، ذلك أنّ كلّ جهة من تلك الجهات تتابع بشكل دقيق الحاجات التعليمية والمَدَدِيَة (اللوجستيكية) التي يحتاجها المعلم والمتعلّم في كل ما يخص العملية التعليمية وما يحيط بها من وسائل الإعاشة والتعليم والمبيت وما يخدمها من قريب أو بعيد، وقد ظهر بهذا الصدد تنافس كبير بين المتحققين بفكرة الخدمة في مجال خدمة التعليم بما يرفع من منسوب التحصيل العلمي العام للأمة في المجتمع التركي والعالم، سنركّز جهدنا على بيان الأعمال الاقتصادية في الداخل ثم الخارج.

مساهمات مؤسسات الخدمة التجارية والصناعية في المجتمع التركي:

الخدمة لا تملك أنشطة اقتصادية. بهذا العنوان، الحال أنه يوجد تجار، ورجال أعمال اقتنعوا بنجاعة هذا الأسلوب يمولون هذه الخدمات طوعًا. هؤلاء التجار لهم مصانعهم ومحلاتهم التجارية المختلفة الأحجام، فمنها الصغيرة والمتوسّطة والكبيرة، وهم ينفقون مما يكسبون لإنشاء مدارس أو مدن جامعية ومبيتات أو إعطاء منح دراسية

للطلبة، وعدد هؤلاء التجار مئات الآلاف، ويزيدون كل يوم، فهم يجتمعون حول معقولية الاتجاه والتفاف حول فكرة الخدمة.

أسس التجار المتحققون بفكرة "الخدمة" مؤخرًا أكبر اتحاد رجال أعمال في تركيا يعرف باسم (توسكون)[1] يعمل هؤلاء على مد الجسور التجارية بين تركيا والعالم، لو لـ"توسكون" حضور مشهود في كثير من أرجاء المعمورة، ويستقطب رجاله الأموال الأجنبية للاستثمار في تركيا.حتى غدا من العادة أنّه ما وجدت مدرسة إلاّ وجد التجار والصناعيون القائمون على خدمتها، لهذا لهم حضور في أكثر ١٤٠ دولة، بحسب وجود المدارس.

عقدت "توسكون" مجموعة من الملتقيات الضخمة. الملتقى الأول كان مع القارة الأفريقية التقى فيها مئات من التجار ورجال الدولة من أكثر من أربعين دولة أفريقية، وخلال الملتقى تم التوقيع على صفقات عمل كثيرة. ثم ملتقى مع دول الشرق الأقصى، وملتقى مع دول البلقان وأوربا... وعقد هذه السنة ملتقى دول العالم وشارك فيه ٥٠٠٠ آلاف تاجر من كل أنحاء العالم، وتم تمثيل ٦٠ دولة على مستوى وزاري.

التاجر الذي كان يخشى من أن يخرج من قريته أو مدينته أصبح بفضل الخدمة يجوب في آفاق واسعة، ويختار منها الأكثر فعالية لنشاط الخدمة الإيمانية، فكان لهذا المسعى مساهمة لا تنكر في تجاوز تركيا للأزمة الاقتصادية الحالية.

الخدمات المقدّمة في مجال محاربة الفقر المادي والمعنوي:

– اقتسم التجار والصناعيون المقتنعون بفكرة "الخدمة" المدارس والمؤسسات التعليمية والعلمية والطبية المبثوثة في العالم، فتتكفّل كلّ شركة أو مؤسسة بمدارس مخصوصة يتولون تسديد كلّ نفقاتها التي تعود في آخر المطاف إلى خدمة الفقراء والمساكين.

– يتولى التجار والصناعيون في داخل تركيا وخارجها إعانة المحتاجين في كثير من المناسبات الدينية، منها شهر رمضان ومنح مساعدات مالية عينية لصالح فقراء البلد الذي تتحرك فيه الصناعة والتجارة.

[1] كونفدرالية الصناعيين التركية، وهي تتضمن سبعة فيدراليات ضخمة لرجال الأعمال تشتمل على مئات من جمعيات التجار المنبثقة في مناطق مختلفة من تركيا. وتوسكون تشتمل على ١٥ ألف عضو من عالم التجارة.

– يتولى المقتنعون بفكرة الخدمة من أهل الصناعة والتجارة، دفع منح دراسية لصالح الطلبة الفقراء من أهل البلد التي يزاولون فيها تجارتهم، كما قد يغطون نفقات تعلّم اللغات والإعلام الآلي، وتصل أحيانًا حدّ دفع نفقات الاستشفاء في بعض البلدان بالنسبة للفقراء والمساكين.

– تشغيل اليد العاملة المتخصصة واليد العاملة العامة في الفضاء الصناعي والتجاري لهذا يسهمون في حل جزء من مشكلة البطالة في البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم الصناعي والتجاري.

ثالثًا: مؤسسات الخدمة ذات الطابع الطبي:

يبذل بهذا الصدد جهد مشكور لتشكيل مجموعة مستشفيات كما هو الحال بالنسبة للمدارس. لكن إنشاء المستشفيات وتكوين الأطر الطبية بحاجة إلى جهد مضاعف، وبالرغم من صعوبتها، فالجهود حققت بعض النجاح، فأنشئت عدّة مستشفيات في تركيا، وهي مؤسسات خاصة يحكمها القانون الذي يضبط القطاع الخاص، وأنشئ بعضها في المدن ذات الكثافة السكانية العالية من نحو إسطنبول وإزمير وقونيا وقيسيرة وإرضروم وبورصة...

يدير هذه المؤسسات إدارة مستقلة تتكفّل بكل مستلزمات العمل الاستشفائي الناجح، وهي تشمل كافة التأمينات الرسمية للموظفين والعمال وأصحاب العمل. وأشهر تلك المؤسسات الاستشفائية "مستشفى السماء" المتميّز بخدماته النوعية والمهنية العالية، لهذا كان محلّ عناية كثير من رجال الفكر والعلم والسياسة و التجارة و... في الخارج والداخل.

وتنظّم هذه المشافي الرحلات الطبية التي يرتبها الأطباء الذين يعملون في هذه المستشفيات مع بعض الأطباء الآخرين الذين يقاسمونهم نفس فكرة من أبناء الخدمة لكنهم يعملون في مستشفيات حكومية وخاصة أخرى. وقد رتب هؤلاء رحلات طبية إلى بعض الدول العالم.

الخدمات المقدّمة في محاربة الفقر في المجال الطبي:

– معاملة خاصة بالمحتاجين والفقراء والمساكين، إذ لهم الحق في تخفيضات خاصة

في التشخيص (الفحص) والاستشفاء (البقاء في المستشفى) والتداوي (العلاج).

– لم يقتصر نشاط الخدمة الطبي على تركيا، إذ نظم المقتنعون بفكر الخدمة الإيمانية من الأطباء والإطار "شبه الطبي"، سواء كانوا في المشافي القائمة على "فكرة الخدمة" أو الموظفون في القطاع العام والقطاع الخاص الآخر، بتنظيم رحلات طبية لبعض الدول الأفريقية، مثل نيجيريا وكينيا والكونغو وتنزانيا والسودان وإثيوبيا وأماكن أخرى كثيرة.

– العمل على تأسيس مستشفيات في مختلف الأماكن من العالم، وخاصة في الدول الفقيرة أو التي تعيش توتّرات سياسية أو اقتصادية أثرت على مستوى الصحة العام في تلك البلدان، وخاصة البلدان الإفريقية وبعض بلدان القارة الأسيوية.

– استيعاب المتخرجين في كثير من التخصصات من نحو الطب العام وبجموع تخصصاته، فضلاً عن الإطار شبه الطبي والتخصصات الخادمة كالمالية والقانون و الإدارة وإدارة الأعمال والتسويق، وهذا ليس خاصًا بتركيا، بل تشمل كل المناطق التي يتحرّك فيها هذا النشاط.

رابعًا: مؤسسات الخدمة في الإعلام والنشر:

النشاط الإعلامي من أكبر عوامل صناعة الرأي العام والمحافظة عليه، لهذا كان الجهد المبذول في هذا كبيرا وعميقا، ومؤثرا بشكل لافت للانتباه.

الإعلام المرئي والمسموع:

مجموعة قنوات (STV) سامانيولو (مجرة التبان) وهي تشتمل القنوات الآتية:

قناة إس تي في: وهي قناة شاملة وتغطي ١٥٠ دولة في العالم وتصنف بين أكبر ٥ قنوات في تركيا من حيث المشاهدة، ولها بث خاص بأمريكا باللغة التركية وبث خاص بأوروبا تتفق مع القناة الأم أحيانًا وتختلف من حيث نوع برامجها أحيانًا، وتبثان أحيانًا باللغة الإنكليزية والألمانية.

– قناة مَهْتاب: وهي قناة فضائية ثقافية حوارية.

– قناة إس تي في خبر: وهي قناة إخبارية.

- قناة يومورجاك (الكتاكيت): وهي قناة للأطفال.

- قناة الخزر: وهي قناة تبث في دول أسيا الوسطى التركية وتتواصل معهم باللهجة الأذربيجانية.

- قناة أبرو: وهي قناة تنطلق من أمريكا وتغطي الولايات المتحدة الأمريكية وتبث باللغة الإنكليزية.

إضافة إلى ثلاث إذاعات فضائية، الأولى ثقافية، والثانية إخبارية، والثالثة شبابية.

الإعلام المقروء (الصحافة المكتوبة):

مجموعة زمان الإعلامية، وهي تشتمل على التالي:

جريدة زمان التركية: وهي جريدة يومية، وهي الجريدة الأولى من حيث المبيعات في تركيا حيث قارب عدد مبيعاتها المليون نسخة. صحيفة زمان تطبع في ١٤ دولة باللغة التركية واللغات المحلية مناصفة وتحتوي على أخبار محلية كذلك.

تودايس زمان (الزمان اليوم) وهي جريدة يومية تصدر باللغة الإنكليزية، وتبيع ٣٠ ألف نسخة، وهي الأولى في الصحف الإنكليزية الصادرة من تركيا.

وكالة جهان للأنباء: وهي وكالة أخبار عالمية ولها مراسلون في كل أنحاء تركيا وفي أغلب أنحاء العالم، وتعد أكبر وكالة أنباء في تركيا.

دور النشر المرتبطة بفكرة الخدمة:

تقوم دور النشر القائمة على فكرة الخدمة بنشر فكر الأستاذ فتح الله كولن، وتترجم كتبه إلى كثير من اللغات العالمية، على رأسها العربية والأوردية والفارسية والإنجليزية والفرنسية فضلاً عن اللغات الأسيوية، من المكاسب المهمة بهذا الصدد ما يأتي:

- دار النيل للطباعة والنشر،ولها فروع في تركيا والمقر الرئيس في القاهرة بجمهورية مصر العربية، وحضورها في المعارض الدولية للكتاب مشهود من الخليج العربي إلى المغرب العربي، فضلاً عن حضورها في الجمهوريات الآسيوية وأوربا وأمريكا، ودار النيل ليست الوحيدة، فهناك كثير من دور النشر ذات الطابع المهني المتميّز.

- مجلة حراء، وهي مجلة ثقافية دورية تصدر بالقاهرة (مصر)، وتستقطب كثير من

obeikandl.com

أقلام الجادة في العالم العربي وتركيا، وهي المجلات التي توزّع أثناء اللقاءات العلمية والتعليمية بل اللقاءات الصناعية والتجارية، وقد نشر منها إلى الآن ١٦ عددا،كان آخرها العدد: ١٦ (يوليو–سبتمبر) ٢٠٠٩.

– مجلة أكسيون: وهي مجلة أسبوعية إخبارية تحليلية سياسية وتصل مبيعاتها إلى ٣٠ ألف نسخة وتعتبر الأولى في بابها.

– كما توجد مجلات علمية وأدبية كثيرة مؤسسة على قاعدة الخدمة الإيمانية، يستوعب بعضها الأقلام المتخصصة،و آخر يستوعب الأقلام الناشئة.

الخدمات المقدّمة في محاربة الفقر في المجال الإعلامي:

– كثير من تلك الوسائل الإعلامية أداة فعالة لتربية المجتمع على فكرة الخدمة الإيمانية، سواء تعلّق الأمر بالصحافة المكتوبة أو التلفاز أو غيرها من الوسائل، وهو وسيلة بالغة الأثر في محاربة "الفقر المعنوي".

– تقديم الخدمات للفقراء والمساكن من خلال التعريف بحالة الفقر التي يرزح فيها المجتمع، والتأكيد على قيم التكافل والتضامن والتآزر مرضاة لله تعالى.

– التعريف بالنماذج الرائدة في "الخدمة الإيمانية" في مختلف شعاب الحياة، وذلك بالانتقال الميداني إلى فضاءات الخدمة،تعريفا بها وتشجيعًا على البذل فيها.

–استيعاب المتخرجين في ميدان الإعلام والاتصال، فضلاً عن التخصصات ذات الصلة، من نحو الأدب العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية.

كلّ الجهود السابق ذكرها تعدّ وسيلة فعّالة لمحاربة الفقر بمعنييه من منظور تنموي من خلال تنمية الفرد تربويًا وفكريًا وعلميًا ثم ماليًا، بتحسين القدرة الشرائية للمواطن، ودمجه في عجلة التنمية العامة للأمة والمجتمع، فتشمل معركة التنمية الجوانب المعنوية والجوانب المادية على السواء.

خامسًا: مؤسسات الخدمة ذات الطابع الإغاثي:

الأصل أنّ المؤسسات المشتغلة بفضاء الإغاثة أن تنظم للضرورات الاستعجالية أيام

المحن والشدائد، وخاصة الزلازل والحروب، وبهذا الصدد ظهرت مؤسسات قائمة على فكرة "الخدمة" ذات طابع إغاثي منها، جمعية "كيسمه يوكمو" (هل من أحد؟)[1] الإغاثية، وهي جمعية خيرية تم تأسيها سنة ١٩٩٧، وتزامنت نشأتها مع زلزال مرمرة.

تشمل هذه الجمعية عشرات الجمعيات المهتمة بمسألة الإغاثة، ولها مئات مشاريع الإغاثة داخل تركيا وخارجها. وتعد من أكبر الجمعيات الخيرية في تركيا. كان لها دور بارز في توسونامي أندونيسيا وزلزال بيرو والصين، وزلزال باكستان، وأحداث غزة الأخيرة.

وتحقيقًا لمسعى الإغاثة تعمل الجمعية على إنشاء قرية حديثة متكاملة في دارفور تبني بموجبها ٣٠٠٠ وحدة سكنية مع مستشفى ومدرسة وسائر مستلزمات الحياة الكريمة.

وبيّن من عنوانها أنّها تقوم على الاستجابة الطوعية لحاجات الناس أثناء الأزمات والحالات المستعصية مثل الأعاصير و الزلازل والحروب والفقر.

الخاتمة

ليس من القصد الأولي في حركة الإصلاح القائمة على فكرة "الخدمة الإيمانية" محاربة الفقر المادي، وإن لم يكن غائبًا في التحقق العملي للفكرة نفسها، ذلك أنّ محاربة الفقر المادي ثمرة من ثمرات السعي إلى الخدمة الإيمانية في شعاب الحياة.

وأثر الخدمة الإيمانية يُرى في شعاب الحياة، فيكشفها حال الفقير والمحتاج والمريض وصاحب الحاجة، وفعالية هذا المسعى تقوم على محاربة الفقر المعنوي، ورأس ما يستند إليه في محاربته تشجيع التعلّم والبذل له بكلّ ما نملك، ذلك أنّ العلم والتربية هي المبيدات الحقيقية للفقر، وحيثما عدم هذا المبيد سكن الفقر.

وحركية التعليم بوارجها أو سفنها المدارس والثانويات والجامعات ومراكز البحث، ويلحق بها مبيت الطلبة وقاعات المطالعة، والمستشفيات... وقودها المال، لهذا نحن بحاجة إلى ما يجلب المال وينميه، وعمدة نماء المال التجارة والصناعة،

[1] انظر: http://www.kimseyokmu.org.tr/en.

والخدمات العامة، لهذا نحن بحاجة إلى صناعة متطوّرة وتجارة ناجحة قائمة على خلق الأمانة والصدق، مثلما نحن بحاجة إلى تربية الأمة على هذه الخلال القويمة من خلال التواصل الإعلامي والتربوي الفاعل، ولا يتأتى لهذا المكسب أن ينجح إلاّ إذا حافظنا على "فكرة الخدمة الإيمانية" نغرسها ونتعدها بالسقي بالتذكير بالله وربط الهمم بجلب مرضاته، لأنّها أكبر دافع على البذل وأنفع مهوّن لمتاعب الطريق مهما طالت، وكلّما تعلّقت الهمم بالعوالي هان البذل واستصغر السعي واستقل (أي تحقق بأنّه قليل) الجهد المبذول، ودعته هذه المعاني إلى تنمية القدرات الإيمانية والمعرفية تحقيقا لهذا المقصد النبيل (الخدمة) ولا الطريق لتحقيقه (طريق إجباري) غير العلم والتربية.